

معنى الفرض والمقصود به

لما ذكر الله -تعالى- في قوله تعالى في الآية الأولى من سورة النساء يعني أول ما ذكر في الفرائض قول الله تعالى: { آتَاوُكُمُ وَأَبْنَاوُكُمُ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ تَفْعًا قَرِيبَةً مِّنَ اللَّهِ } ذُكِرَ كَلِمَةُ فَرِيضَةٍ، فَسُمِّيَتْ هَذِهِ الْأَنْصِبَةُ وَالْفَرَايِضُ؛ لِأَجْلِ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ فِيهَا لِكُلِّ نَصِيْبِهِ؛ فَسُمِّيَتْ فَرَايِضُ. هَكَذَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَكَذَلِكَ سُمِّيَتْ فِي السَّنَةِ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ الصَّحِيْحَ قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- { أَحَقُّوا الْفَرَايِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَلأُولَى رَجُلٍ ذَكَرَ } فَسَمَّاها فَرِيضَةً. وَتَكَلَّمَ الْفَرَضِيُّونَ عَلَى مَعْنَى "الْفَرِيضَةُ". الْفَرِيضَةُ فِي اللُّغَةِ: الْفَرَضُ فِي اللُّغَةِ يَدُورُ عَلَى مَعَانٍ: أَصْلُهَا الْحَزُّ وَالْقَطْعُ. يَقُولُونَ: فَرَضَ الْحَبْلُ فِي الْحَجْرِ. الْحَبْلُ الَّذِي كَانُوا يَسْنُونُ عَلَيْهِ مَعَ مَرُورِهِ -دَائِمًا- عَلَى الْحَجْرِ يَفْرَضُ فِيهِ فَرَضًا -يعني- حَزًّا، وَكَذَلِكَ -مِثْلًا- إِذَا أَخَذْتَ سَكِينًا وَحَزَزْتَ بِهَا فِي خَشْبَةٍ فَإِنَّهَا تَحْزُ فِيهَا، وَيُسَمَّى هَذَا الْحَزُّ فَرَضًا؛ وَكَذَلِكَ لِثَبُوتِهِ. وَسُمِّيَتْ هَذِهِ فَرَايِضُ لِثَبُوتِهَا؛ بَلْ وَتُسَمَّى الْوَأَجِبَاتُ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ تَسْمَى فَرَايِضُ، فِي حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ يَقُولُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- { إِنْ اللَّهُ فَرَضَ فَرَايِضَ فَلَا تُضِيعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا } إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ.. يَعْنِي: الْفَرَايِضُ: هِيَ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ؛ فَإِنَّهَا تَسْمَى فَرِيضَةً. مِثْلُ الصَّلَاةِ فَرِيضَةً، وَالصِّيَامِ فَرِيضَةً، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهَا فَرَايِضُ فَرَضَهَا اللَّهُ؛ وَلَكِنْ وَقَعَ الْإِصْطِلَاحُ عَلَى تَسْمِيَةِ الْمَوَارِيثِ أَنَّهَا الْفَرَايِضُ، فَيَقُولُونَ فِي تَعْرِيفِ الْفَرَايِضِ: الْعِلْمُ بِقِسْمَةِ التَّرِكَاتِ. يَعْنِي: الْمَخْلَفَاتُ؛ وَكَذَلِكَ لِأَنَّ الْغَالِبَ كَوْنُ الْإِنْسَانِ يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ فِي حَيَاتِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْلُفُهَا؛ يَمُوتُ وَيَتْرِكُهَا؛ فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ عِلْمٌ يَعْرِفُ بِهِ كَيْفِيَّةَ تَقْسِيمِهَا، كَيْفَ تَقْسَمُ هَذِهِ الْأَمْوَالَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْوَرِثَةِ؟ فَجَاءَ هَذَا الْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ تَقْسِيمِهَا. وَالْغَالِبُ.. أَنَّهُ يَجْمَعُهَا لِأَوْلَادِهِ؛ وَلِأَجْلِ ذَلِكَ جَاءَتْ الْآيَةُ الْأُولَى بِذِكْرِ الْأَوْلَادِ: { يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ } مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ هُنَاكَ وَرِثَةٌ غَيْرُهُمْ كَالْأَبْوِينِ وَالزَّوْجِيْنِ؛ فَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ قَوْلُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- { إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ } فَذَكَرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجْمَعُ حَتَّى يَكُونَ لَوَرِثَتِهِ بَعْدَهُ مَا يَكْتَفُونَ بِهِ، وَمَا يَسُدُّهُمْ عَنِ التَّكْفِيفِ الَّذِي هُوَ السُّؤَالُ -سؤال الناس-.